الاستلزام الحواري في التضمين
في تفسير روح المعاني للآلوسي (ت:١٢٧٠هـ)

الباحث/ عبدربه السعيد عبدربه
إشراف
الأستاذ الدكتور/ عيسى شحاته عيسى

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث الحديث عن (الاستلزام الحواري في التضمين في القرآن في تفسير الآلوسي) ويعد الاستلزام الحواري من أهم نظريات التداولية في التي ظهرت في الدرس الحديث، وبالرغم من الانتقادات التي وجهت له، إلا أن الفضل الكبير في تحديد المقاصد غير المباشرة، وقد ظهرت ملامح منه في الدرس العربي القديم خصوصا في دراسات السكاكي، ثم ظهر بشكل واضح وجلي في العصر الحدىث، وسوف يتناول هذا البحث ظاهرة الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني من خلال دراسة وتحليل المعاني المستلزمة التي خرجت إليها بعض الأساليب الخبرية، والأساليب الإنشائية (الطلبية) في التضمين في القرآن الكريم في تفسير الآلوسي، والأغراض التداولية التي تؤديها، مع الأخذ بعين الاعتبار المقامات التخاطبية والسياقات التي وردت فيها، بالاعتماد على آراء بعض العلماء والمفسرين.

الكلمات المفتاحية: الاستلزام؛ الحواري؛ التفسير

Research Summary:

The Dialogical Implication for Implication in the Interpretation of Ruh al-Ma'ani by Al-Alusi (d. ١٢٧٠ AH)

This research deals with the talk about (dialogical obligation in the implication in the Holy Qur'an in Al-Alusi's interpretation). Dialogical obligation is considered one of the most important theories of pragmatics that appeared in the modern lesson. Despite the criticisms directed at it, the great merit in identifying indirect objectives has been shown. Features of it in the ancient Arabic lesson, especially in Sakaki studies, Then it appeared clearly and clearly in the modern era, and this research will deal with the phenomenon of dialogical necessity in the Qur'anic discourse through studying and analyzing the necessary meanings that some declarative methods and constructional (demanding) methods of inclusion in the Holy Qur'an in Al-Alusi's interpretation, and the pragmatic purposes they perform. Taking into account the conversational positions and the contexts in which they are mentioned, relying on the opinions of some scholars and commentators.

Keywords:commitment; The dialogue; Interpretation

المقدمة:

الحمد لله العلي العظيم، حمداً مباركاً كما ينبغي لجلال وجهه الكريم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وصلى الله وسلم على آله وعترته الطاهرين الطيبين، وصحبه السادة المقربين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين وبعد.

يعد الاستلزام الحواري من أهم عناصر التداولية؛ لذلك وجدت حاجة ساحة التداولية إلى دراسة الاستلزام الحوار المعمم عند غرايس دراسة موضوعية في التضمين في القرآن الكريم من خلال تفسير روح المعاني للآلوسي؛ كانت هذه الدراسة من بيان المعنى المستلزم للآية القرآنية التي بها تضمين من خلال كتاب روح المعاني للآلوسي؛ فكانت هذه الدراسة قائمة على استقراء الآيات التي بها تضمين، وبيان المعنى المستلزم بها كما ذكره الآلوسي بما يتوافق مع ما قاله غرايس في نظرية الاستلزام الحواري، وذلك بتوثيق ما تم استنتاجه من الأغراض التي ذهب إليها علماء التداولية، وبما جاء في تراسنا من التفاسير القرآنية.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وهما كالآتي:

التمهيد/ مفهوم الاستلزام الحواري وقواعده.

المبحث الاول/ نماذج المعاني الصريحة من خلال روح المعاني.

المبحث الثاني/ نماذج المعاني الضمنية في تفسير روح المعاني.

التمهيد: مفهوم الاستلزام الحواري

تعتبر نظرية الاستلزام الحواري من أهم المفاهيم في الدرس التداولي، وتعود نشأتها إلى المحاضرات التي ألقاها غرايسH P Grice وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغات الطبيعية Natural Language في جامعة هارفارد سنة ١٨٨٧ م، فقدم فيها تصوره لهذا الجانب من الدرس، والأسس المنهجية العامة التي يقوم عليها(١)

المعنى الاستلزامي: وهو أن الطالب المذكور ليس مستعدا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة، وهذه هي الظاهرة التي أطلق عليها غرايس مسمى الاستلزام الحوار(٢)

وقد ركز غرايس على مبدأ التعاون، ذلك المبدأ الذي يرتكز عليه كل من المتكلم والمخاطب أثناء التواصل والحديث؛ لتتأتى عملية تأويل الأقوال والملفوظات بصورة منظمة وعقلانية، وقد شرح غرايس هذا المفهوم مقترحا له أربعة قواعد متفرعة عنه، من المفترض أن يحترمها المتخاطبون وأن يستغلوها(٣)

وهذه القواعد هي:

-قاعدة القدر: Quantite وتخص قدر كمية الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية وتتفرع إلى مقولتين:

أ/ اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار.

ب/ لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب.

-قاعدة الكيف : Qualite ونصها " لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطع البرهنة على صدقه."

-قاعدة الملاءمة : Pertinence وهي عبارة عن قاعدة واحدة " لتكن مشاركتك ملائمة"

-قاعدة الجهة : Modalite التي تنص على الوضوح في الكلام، وتتفرع إلى ثلاث قواعد فرعية :

أ/ ابتعد عن اللبس.

ب/ تحر الإيجاز.

ج/ تحر الترتيب.

---

١) francois Recanati les enonces reformatifs les editions de minuit ١٩٧٩ p١٤١-١٤٢-١٤٣

٢) التداولية عند العلماء العرب، ص ٣٣ مسعود صحراوي. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

٣) التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص ٥٥ آلان روبول، جاك موشلار. ترجمة: سيف الدين، دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٣م

وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواري إذا تم خرق إحدى القواعد الأربع السابقة(١)

ويقترح غرايس تقسيما للعبارات اللغوية يرى أن الحمولة الدلالية للعبارة تنقسم على أساسه إلى معان صريحة، ومعان ضمنية.

١/ المعاني الصريحة: وهي التي تدل عليها الجملة ذاتها ويقصد بها المعنى الظاهر، وتشتمل مايلي:

أ- المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب- القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما، كالاستفهام، والأمر، والنداء.(٢)

٢/ المعاني الضمنية: وهي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، وإنما يمكن أن يكون للسياق دخلا في توجيه دلالتها. وتشتمل مايلي:

أ- معاني عرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا، وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين، مثل معنى الاقتضاء.

ب- معاني حوارية: وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية(٣)

لقد كان تركيز غرايس منصبا على الاهتمام بمبدأ التعاون، رغم أنه لم يتطرق بالتفصيل للقواعد التي تبين كيفية التعامل بين طرفي الخطاب، ولكنه أشار إلى بعض القواعد والتوصيات الأخرى التي رأى أنها لم تغب عنه كالقواعد الأخلاقية، والجمالية، والاجتماعية. ولعل هذا ما حدا بالباحثين بعده إلى التركيز على مبدأ التعاون والانطلاق منه للتأسيس(٤)

مجمل القول ما ذكر حول مبدأ التعاون والاستلزام الحواري المترتب عنه؛ أنه حسب تصور غرايس ينبغي استخدام عبارات ملائمة لمقام ومحور الخطاب، ومن الأمثلة على ذلك عند الآلوسي من خلال تفسيره للقرآن الكريم في كتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :

١) التداولية عند العلماء العرب، ص ٣٣_٣٤.
٢) التداولية عند العلماء العرب، ص٤٨.
٣) استراتيجيات الخطاب، ص ٣٥.
٤) استراتيجيات الخطاب، ص ٣٤.

المبحث الأول: نماذج المعاني الصريحة من خلال روح المعاني:

١- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة:٢٤٣]

أسلوب الاستفهام يستلزم حوارا؛ حيث يحمل معاني صريحة أخرى تفهم من السياق على حسب المتلقي هل عنده علم أم ليس لديه علم؟ وقد أشار الآلوسي إلى هذا الاستلزام الحواري مع بيان التضمين في الفعل (تر) ويكون معناها على حسب المتلقي لها: إن كان له علم تكون للتعجب والتقرير، وإن كان المتلقي ليس له علم فتكون لتعريفه، والرؤية بمعنى الإدراك القلبي متضمنة معنى الوصول والانتهاء فتعدت بإلى فقال: "ألم تر هذه الكلمة قد تذكر لمن تقدم علمه فتكون للتعجب والتقرير والتذكير لمن علم بما يأتي كالأحبار وأهل التواريخ، وقد تذكر لمن لا يكون كذلك فتكون لتعريفه وتعجيبه، وقد اشتهرت في ذلك حتى أجريت مجرى المثل في هذا الباب بأن شبه حال من «لم ير» الشيء بحال من رآه في أنه لا ينبغي أن يخفى عليه وأنه ينبغي أن يتعجب منه ثم أجري الكلام معه كما يجري مع من رأى قصدا إلى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب، والرؤية إما بمعنى الإبصار مجازا عن النظر، وفائدة التجوز الحث على الاعتبار لأن النظر اختياري دون الإدراك الذي بعده وإما بمعنى الإدراك القلبي متضمنا معنى الوصول والانتهاء ولهذا تعدت بإلى في قوله تعالى: ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾كما قاله غير واحد، وقال الراغب: إن الفعل مما يتعدى بنفسه لكن لما استعير لمعنى- ألم تنظر- عدي تعديته بإلى وفائدة استفادته أن النظر قد يتعدى عن الرؤية فإذا أريد الحث على نظر ناتج لا محالة لها استعيرت له وقلما استعمل ذلك في غير التقرير فلا يقال رأيت إلى كذا انتهى."(١)

وافق قول محمود بن عبد الرحيم صافي قول الآلوسي فقال: "أَلَمْ تَرَ هذه الكلمة قد تذكر لمن تقدم علمه فتكون للتعجب والتقرير والتذكير لمن علم بما يأتي كالأحبار وأهل التواريخ، وقد تذكر لمن لا يكون كذلك فتكون لتعريفه وتعجيبه، وقد اشتهرت في ذلك حتى أجريت مجرى المثل في هذا الباب بأن شبه حال من (لم ير) الشيء بحال من رآه في أنه لا ينبغي أن يخفى عليه وأنه ينبغي أن يتعجب منه والرؤية إما بمعنى الإبصار مجازا عن النظر، أو بمعنى الإدراك القلبي متضمنا معنى الوصول والانتهاء."(٢)

الفعل تر مصارع يدل على الاستمرار والتجدد ودلالته على الفاعل الضمير المستتر وهو من الإحالة داخل النص مما يدل على التماسك النصي، والسياق اللغوي

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج١ ص٥٥٢.

٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم ج٢ ص٥١٦.

للآية يدل على معنى الإدراك والمعنى المتضمن الوصول والانتهاء ، فالسياق كشف المعنى الضمني لكلمة تر.

وهناك فرق بين (ينظرون) و (يبصرون) النظر فيه احتمالين قد يكون النظر إدراك، وقد يكون النظر من دون رؤية وإنما توجيه النظر إلى مكان معين كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧]

أما يبصرون: أبصرت الشيء رأيته، يبصر من الرؤية إدراك الحاسة قال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]

٢/ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤]

تحدث الآلوسي عن التضمين في كلمة تظاهرون لمعنى التباعد والمجانبة، والاستلزام الحواري والمعنى الضمني وهو حرمة الوطء ودواعيه حتى أداء كفارة الظهار فقال: "وإنما عدي بمن مع أنه يتعدى بنفسه لتضمنه معنى التباعد ونحوه مما فيه معنى المجانبة ويتعدى بمن، ... وخص باسم الظهار تغليبا للظهر لأنه كان الأصل في استعمالهم وشرطه في المرأة كونها زوجة وفي الرجل كونه من أهل الكفارة، وركنه اللفظ المشتمل على ذلك التشبيه، وحكمه حرمة الوطء ودواعيه إلى وجود الكفارة"(١)

بين ابن عاشور التضمين والمعنى المستلزم من الآية وهو الانفصال بين الزوجين وحرمة العلاقة بينهما فقال: "وَيُعَدَّى إِلَى اسْمِ الْمَرْأَةِ الْمُرَادِ تَحْرِيمُهَا بِحَرْفِ (مِنَ) الِابْتِدَائِيَّةِ لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الِانْفِصَالِ مِنْهَا.(٢)

المعنى المستلزم هو المجانبة والتباعد والانفصال بين الزوجين، وحرمة الوطء ودواعيه إلى أداء كفارة الظهار. كلمة تظاهرون فعل مضارع دلالته الزمانية استمرارية التحريم بين الزوجين ،ودلالة السياق تؤكد المعنى المستلزم وهو التباعد بين من يظاهر زوجته وهذا ما يميز العلاقة بين اللفظ والمعنى المستلزم.

٣/ قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٥]

الفعل اهدنا في الآية له استلزام حواري وهو بمعنى الإيصال وليس بالمعنى اللغوي فقال الآلوسي: "الهداية دلالة بلطف لدلالة اشتقاقه ومادته عليه ولذا أطلق على المشي برفق تهاد وسميت الهداية لطفا وقوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] وارد على الصحيح مورد التهكم على حد ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤، الانشقاق: ٢٤]، ويقال هداه لكذا وإلى كذا فتعديه باللام وإلى إذا

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج١١ ص١٤٤.
٢) التحرير والتنوير ج٢١ ص٢٥٧.

لم يكن فيه وهداه كذا بدونهما محتمل للحالين حتى لا يجوز في ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] لسبلنا أو إلى سبلنا إلا بإرادة الإرادة في جاهدوا أو إرادة تحصيل المراتب العلية في سبلنا ومن ثم جمعها، وقد ورد: من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم، وقد يقال المراد بيان الاستعمال الحقيقي، وأما باب التجوز فواسع وهل يعتبر في الدلالة الإيصال أم لا فيه اختلاف المتأخرين من أهل اللسان ففريق خصها بالدلالة الموصلة وآخرون بالدلالة على ما يوصل، وقليل قال: إن تعدت إلى المفعول الثاني بنفسها كانت بمعنى الإيصال ولا تسند إلا إليه تعالى كما في الآية وإن تعدت باللام أو إلى كانت بمعنى إراءة الطريق فكما تسند إليه سبحانه تسند إلى القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] وإلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] والكل من هذه الآراء غير خال عن خلل، أما الأول فيرد عليه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧] والجواب بجواز وقوعهم في الضلال بالارتداد بعد الوصول إلى الحق لا يساعده ما في التفاسير والتواريخ فإنها ناطقة بأن الجم الغفير من قوم ثمود لم يتصفوا بالإيمان قطعا وما آمن من قومه إلا قليل وقد بقوا على إيمانهم ولم يرتدوا على أن صاحب الذوق يدرك من نفس الآية خلاف الفرض كما لا يخفى، وأما الثاني فيرد عليه قوله تعالى لحبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦] وما يقال إنه على حد قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] أو أن المعنى أنك لا تتمكن من إراءة الطريق لكل من أحببت بل إنما يمكنك إراءته لمن أردنا لا يخلو عن تكلف، وأما الثالث فإن كلام أهل اللغة لا يساعده بل ينادي بما ينافيه ومع ذلك فالقول بأن المتعدية لا تسند إلا إلى الله تعالى منتقض بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣] وعن مؤمن آل فرعون ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨] ولهذا الخلل قال طائفة بالاشتراك"(١)

ظهر من خلال تفسيره لهذه الآية اعتماده في تفسيره على المأثور، وذكر آراء من قبله ونقده لهذه الآراء.

ذكر ابن عاشور معاني الهداية فقال: "وَالْهِدَايَةُ الدَّلَالَةُ بِتَلَطُّفٍ وَلِذَلِكَ خُصَّتْ بِالدَّلَالَةِ لِمَا فِيهِ خَيْرُ الْمَدْلُولِ لِأَنَّ التَّلَطُّفَ يُنَاسِبُ مَنْ أُرِيدَ بِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج١ ص٩٤-٩٥.

بِنَفْسِه لِأَنَّ مَعْنَاهُ مَعْنَى الْإِرْشَاد، وَيَتَعَدَّى إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي وَهُوَ الْمُهْدَى إِلَيْهِ بِإِلَى وَبِاللَّامِ وَالِاسْتِعْمَالَانِ وَارِدَانِ، تَقُولُ هَدَيْتُهُ إِلَى كَذَا عَلَى مَعْنَى أَوْصَلْتُهُ إِلَى مَعْرِفَتِه، وَهَدَيْتُهُ لِكَذَا عَلَى مَعْنَى أَرْشَدْتُهُ لِأَجْلِ كَذَا: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الْأَعْرَاف: ٤٣]، وَقَدْ يُعَدَّى إِلَى الْمَفْعُولِ الثَّانِي بِنَفْسِه كَمَا هُنَا عَلَى تَضْمِينِه مَعْنَى عَرَفَ قِيلَ هِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَلَا يُعَدِّيه بِنَفْسِه وَقَدْ جَعَلُوا تَعْدِيَتَهُ بِنَفْسِه مِنَ التَّوَسُّعِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِالْحَذْفِ وَالْإِيصَالِ. وَقِيلَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُتَعَدِّي وَغَيْرِه أَنَّ الْمُتَعَدِّيَ يُسْتَعْمَلُ فِي الْهِدَايَةِ لِمَنْ كَانَ فِي الطَّرِيقِ وَنَحْوِه لِيَزْدَادَ هُدًى وَمَصْدَرُهُ حِينَئِذٍ الْهِدَايَةُ، وَأَمَّا هَدَاهُ إِلَى كَذَا أَوْ لِكَذَا فَيُسْتَعْمَلُ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ سَائِرًا فِي الطَّرِيقِ وَمَصْدَرُهُ هُدًى، وَكَأَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْقَوْلِ نَظَرَ إِلَى أَنَّ الْمُتَعَدِّيَ بِالْحَرْفِ إِنَّمَا عُدِّيَ لِتَقْوِيَتِه وَالتَّقْوِيَةُ إِمَّا أَنْ يَقْصِدَ بِهَا تَقْوِيَةَ الْعَامِلِ لِضَعْفِه فِي الْعَمَلِ بِالْفَرْعِيَّةِ أَوِ التَّأْخِيرِ، وَإِمَّا أَنْ يَقْصِدَ بِهَا تَقْوِيَةَ مَعْنَاهُ، وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا إِنْ تَمَّ فَهُوَ أَغْلَبِيٌّ عَلَى أَنَّهُ تَخْصِيصٌ مِنَ الِاسْتِعْمَالِ فَلَا يَقْتَضِي كَوْنُ الْفِعْلِ مُخْتَلَفَ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْفِعْلَ لَا تَخْتَلِفُ مَعَانِيه بِاعْتِبَارِ كَيْفِيَّةِ تَعْدِيَتِه إِلَّا إِذَا ضُمِّنَ مَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ"(١)

أجد الفعل هدى إذا عدي باللام أفاد معنى التخصيص بالشيء؛ فأتى باللام للدلالة على الاختصاص والتعيين، وإذا تعدى بإلى أفاد معنى الإيصال للغاية فأتى بحرف الغاية، وإذا تعدى بنفسه جمع المعنيين الإيصال والاختصاص تدل على أنه لمن في الصراط ولمن ليس في الصراط أما إذا تعدى بإلى فإنه ليس فيه ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ [يونس:٣٥].

الفعل (هدى) فعل متعد إلى مفعول واحد مثل هدى الأنبياء الناس إلى الخير، وأما الفعل (أهدى) فيتعدى إلى مفعولين مثل أهديت زيدا كتابا، وفي آية الفاتحة فعل الدعاء (اهد) ماضيه (هدى) لا (أهدى)، و(نا) مفعول به، الفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت، الصراط منصوب بنزع الخافض لأنّ هدى لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد وتتعدى إلى الثاني باللام كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] أو بإلى كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] "(٢)

المعنى المستلزم هو وصلْنا الطريق المستقيم، فقد شبه الإسلام بالصراط، ثم استعير الصراط للإسلام، والقرينة طلب الهداية من الله،والسياق الجمالي حيث رشحت الاستعارة بذكر ما يلائم المستعار منه وهو قوله تعالى: ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾، وتم نزع الخافض

١) التحرير والتنويرج١ ص١٨٧.

٢) إعراب القرآن وبيانه ج١ ص١٠٨.

لتعدد تقديره: اهدنا (إلى) الصراط، أو اهدنا (ب) الصراط، أو اهدنا (على) الصراط، أو اهدنا (ل) الصراط، أو اهدنا (في) الصراط، ولكل حرف معنىً من غير شك، فلو ذكر الخافض لانحصر المعنى في دلالة واحدة.

٤/ قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٥]

قال ابن فارس: "الْعَيْنُ وَالزَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الصَّرِيمَةِ وَالْقَطْعِ. يُقَالُ: عَزَمْتُ أَعْزِمُ عَزْمًا. وَيَقُولُونَ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا فَعَلْتَ كَذَا، أَيْ جَعَلْتَهُ أَمْرًا عَزْمًا، أَيْ لَا مَثْنَوِيَّةَ فِيهِ. وَيُقَالُ: كَانُوا يَرَوْنَ لِعَزْمَةِ الْخُلَفَاءِ طَاعَةً. قَالَ الْخَلِيلُ: الْعَزْمُ: مَا عُقِدَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ مِنْ أَمْرٍ أَنْتَ فَاعِلُهُ، أَيْ مُتَيَقِّنُهُ."(١)

وضح الآلوسي الاستلزام الحواري في الآية فبين المعنى المقصود فقال: "المعنى لا تقطعوا ولا تبرموا عقدة النكاح فيكون النهي عن نفس الفعل لا عن قصده"(٢)

بين ابن عاشور المراد من الْعَزْمِ هُنَا والمعنى المتضمن فقال: "عَقْدُ النِّكَاحِ لَا التَّصْمِيمُ عَلَى الْعَقْدِ، وَلِهَذَا فَعُقْدَةُ النِّكَاحِ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، وَالْمَعْنَى: لَا تَعْقِدُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ، أُخِذَ مِنَ الْعَزْمِ بِمَعْنَى الْقَطْعِ وَالْبَتِّ، قَالَهُ النَّحَّاسُ وَغَيْرُهُ، وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَهُ بِمَعْنَاهُ الْمَشْهُورِ أَيْ لَا تُصَمِّمُوا عَلَى عُقْدَةِ النِّكَاحِ، وَنَهَى عَنِ التَّصْمِيمِ لِأَنَّهُ إِذَا وَقَعَ وَقَعَ مَا صَمَّمَ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: نَهَى عَنِ الْعَزْمِ مُبَالَغَةً، وَالْمُرَادُ النَّهْيُ عَنِ الْمَعْزُومِ عَلَيْهِ، مِثْلُ النَّهْيِ مِنَ الاقْتِرَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [الْبَقَرَة: ١٨٧] وَعَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ فَعُقْدَةُ النِّكَاحِ مَنْصُوبٌ عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ، كَقَوْلِهِمْ ضَرْبَةَ الظَّهْرِ وَالْبَطْنِ، وَقِيلَ ضُمِّنَ عَزَمَ مَعْنَى أَبْرَمَ"(٣)

البنية الدلالية لتعزموا تدل على التجدد والاستمرار بدلالة المضارعة، والفاعل واو الجماعة فالإحالة تبين التماسك النصي. السياق النفسي للكلمة يدل على التأكيد والإصرار على الفعل، المعنى المستلزم أن النهي في الآية عن الفعل والعمل، وهو إبرام عقد القران والدخول بالزوجة المعتدة بالوفاة، وليس النهي عن نية الفعل ونية العمل وهو الزواج بالمرأة في فترة العدة.

٥/ قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:٢]

بين الآلوسي التضمين والاستلزام الحواري للآية من الدعوة إلى الإجادة والحسن والترقي دائما في عمل الخير، فقال أحسن عملا وليس أكثر عملا، فالمعيار الحقيقي

---

١) معجم مقاييس اللغة (ع.ز.م) ج٤ ص٣٠٨.

٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج١ ص٥٤٥.

٣) التحرير والتنوير ج ٢ ص٤٥٤-٤٥٥.

للأعمال الجودة والحسن، وليس الكثرة فقال: "وفيه من الترغيب في الترقي إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائصها ما لا يخفى. وجعل ذلك من باب الزيادة المطلقة أو من باب ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [مريم: ٧٣] ليس بذاك وأيكم أحسن مبتدأ وخبر والجملة في محل نصب على أنها مفعول ثان ليبلوكم وذلك على ما في الكشاف لتضمنه معنى العلم"(١)

بين ابن عاشور التضمين والمعنى المراد فقال: "وَذَلِكَ مَا تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَإِنَّ مَعْنَى الْابْتِلَاءِ مُشْعِرٌ بِتَرَتُّبِ أَثَرٍ لَهُ وَهُوَ الْجَزَاءُ عَلَى الْعَمَلِ لِلتَّذْكِيرِ بِحِكْمَةِ جَعْلِ هَذَيْنِ النَّامُوسَيْنِ الْبَدِيعَيْنِ فِي الْحَيَوَانِ لِتَظْهَرَ حِكْمَةُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَيُفْضِيَا بِهِ إِلَى الْوُجُودِ الْخَالِدِ،... وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَكُونَ مِنْكُمْ أَحْيَاء يعملونَ الصَّالِحَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ أَمْوَاتًا يَخْلُصُونَ إِلَى يَوْمِ الْجَزَاءِ فَيُجْزَوْنَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِمَا يُنَاسِبُهَا."(٢)

يظهر المبدأ التواصلي بين المتكلم والمخاطب وهو التعاون ، والسياق اللغوي في الابتلاء لينتج المعنى الضمني وهو العلم. والمعنى المستلزم والمقصود الفعلي هو الدعوة إلى الحسن والأفضلية والترقي في الأعمال الخيرية، والمجازاة على الأعمال يوم القيامة إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وليس الاختبار لتضمن ليبلوكم معنى العلم.

٦/ قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١]

بين الآلوسي الاستلزام الحواري في الآية، وهو عدم ظهور نحور النساء ولا شيء من أجسادهن التي حرمها الله، وتضمين يضرب لمعنى الوضع والإلقاء والشد وليس معنى الضرب هنا الوجع والألم فقال: "والمراد من الآية كما روى ابن أبي حاتم عن ابن جبير أمرهن بستر نحورهن وصدورهن بخمرهن لئلا يرى منها شيء وكان النساء يغطين رؤوسهن بالخمر ويسدلنها كعادة الجاهلية من وراء الظهر فيبدو نحورهن وبعض صدورهن، وصح أنه لما نزلت هذه الآية سارع نساء المهاجرين إلى امتثال ما فيها فشققن مروطهن فاختمرن بها تصديقا وإيمانا بما أنزل الله تعالى من كتابه، وعدي يضرب بعلى على ما قال أبو حيان لتضمينه معنى الوضع والإلقاء، وقيل: معنى الشد"(٣)

بين ابن عجيبة معنى (وليضربن) وتضمنها معنى الإلقاء فقال: "وَلْيَضَعْنَ خُمُرَهنَّ، جمع خمار، وهو ما يستر الرأس، عَلى جُيُوبِهِنَّ، وهو شَقُّ القميص من ناحية الصدر،

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج١٥ ص٦.
٢) التحرير والتنوير ج٢٩ ص١٣.
٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٩ ص٣٣٦-٣٣٧

وكانت النساء على عادة الجاهلية يَسْدِلْنَ خُمُرَهُنَّ مِنْ خَلْفِهِنَّ، فتبدو نحورُهن وقلائدهُن من جيوبهن، وكانت واسعةً، يبدو منها صدورهن وما حواليها، فأُمِرْنَ بإسدال خُمُرِهن على جيوبهن ستراً لما يبدو منها. وقد ضمَّنَ الضَّرْبَ معنى الإلقاء والوضع، فَعُدِّيَ بعلى."(١)

الفعل المضارع المقترن باللام يدل على الأمر للوجوب والأمر يعطي قيمة تداولية وهي العلاقة بين الآمر الأقوى والمأمور الملزم بتنفيذ الأمر. والضمائر في الآية تعطي التماسك النصي ، والسياق الاجتماعي من حماية وصيانة المرأة وحفظها ، والمعنى المستلزم ستر صدر النساء بإلقاء الخمار على جيوبهن، وهي فتحة الثوب من أعلى من الأمام؛ حتى لا يظهر شيء من عورة المرأة، فجميع جسد المرأة عورة ماعدا الوجه والكفين باتفاق الفقهاء والقدمين عند الأحناف.

المبحث الثاني نماذج المعاني الضمنية في تفسير روح المعاني:

ومنها المعاني الحوارية: وهي التي تتولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة ويكون منها الإشارات عن طريق حركات الجسد وأعضائه، مثل الوجه والعين والهيئة العامة، فحركات الإنسان، مثل: التبسم والتجهم والعبوس، وحركات الجوارح كلها، والزينة اللبس والألوان تعطي دلالات وتوصل معاني ضمنية للآخرين ، تكون عاملا أساسيا في عملية التواصل البشري، وأكبر الأدلة على ذلك استعمال القرآن الكريم التعبير غير اللفظي في مواضع متعددة، أذكر بعض الأمثلة بما فيها من حوار بين المتكلم والمتلقي.

ذكر الآلوسي الجانب الإشاري ودلالته الحوارية حيث إن الإشارات لغة غير منطوقة وتدل على الحوار والتواصل بين المتكلم والمستمع فقال: "ومن باب الإشارة في الآيات: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ أشار سبحانه إلى أنهم يستمعون لكن حكمهم حكم الأصم في عدم الانتفاع وذلك لعدم استعدادهم حقيقة أو حكما بأن كان ولكن حجب نوره رسوخ الهيئات المظلمة"(٢)

١- قال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المائدة:٤١]

وضح الآلوسي طريقة التواصل والمعنى الضمني في ﴿سَمَّاعُونَ﴾ والجانب الحواري التفاعلي من المستمع، وهو شدة الحرص والمبالغة في السمع كأن صنعته ومهنته السماع للكذب وقبوله فقال: "واللام للتقوية كما في قوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧، البروج: ١٦] وقيل: لتضمين السماع معنى القبول أي قابلون لما يفتريه الأحبار من

١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج٤ ص٣١.

٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٦ ص١٦٤.

الكذب على الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام وتحريف كتابه، ... والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين"(١)

أظهر القاسمي التضمين في سماعون لمعنى القبول والمبالغة في سماع الكذب فقال: "أي: هم سماعون. واللام إما لتقوية العمل، وإما لتضمين السماع معنى القبول، وإما لام كي، والمفعول محذوف والمعنى: هم مبالغون في سماع الكذب الذي افترته أحبارهم أو في قبوله. أو سماعون أخباركم ليكذبوا عليكم بالزيادة والنقص إرجافا وتهويلا."(٢)

أجد التواصل والتحاور وهو من التداولية حيث يقوي العلاقة بين المتكلم والمتلقي ويؤدي إلى التفاهم وعدم السآمة والملل، ويبين طريقة من طرق التواصل الاجتماعي وهي التعبير بالإشارة، والمعنى المستلزم الضمني هو المبالغة في قبولهم الكلام الكذب الذي يفتريه الأحبار على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معنى ضمني مستفاد من السياق والمعنى العام للآية الكريمة.

٢- قال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧]

أشار الآلوسي إلى المعنى الضمني في الملفوظ القرآني فبين الغاية من السماع؛ وهي النميمة ونقل الكلام إلى الناس فقال: "أي نمامون يسمعون حديثكم لأجل نقله إليهم كما روي عن مجاهد وابن زيد أو فيكم أناس من المسلمين ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم كما روي عن قتادة وابن إسحاق وجماعة"(٣)

وافق قول ابن عاشور قول الآلوسي في قوله: "أَيْ مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ سَمَّاعُونَ لَهُمْ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ السَّمَّاعُونَ مُسْلِمِينَ يُصَدِّقُونَ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّمَّاعُونَ مُنَافِقِينَ مَبْثُوثِينَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ...مَعْنَى سَمَّاعُونَ لَهُمْ، أَيْ جَوَاسِيسُ يَسْتَمِعُونَ الْأَخْبَارَ وَيَنْقُلُونَهَا إِلَيْهِمْ، وَقَالَ قَتَادَةُ وجهور الْمُفَسِّرِينَ: مَعْنَاهُ وَفِيكُمْ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُمْ قَوْلَهُمْ وَيُطِيعُهُمْ، قَالَ النَّحَّاسُ الْأَغْلَبُ أَنَّ مَعْنَى سَمَّاعٍ يَسْمَعُ الْكَلَامَ"(٤)

المعنى الضمن للملفوظ القرآني سماعون المبالغة في السماع لأجل نقل الأخبار إلى الأعداء، أو الانقياد التام للأعداء للاعتقاد بصدق كلام المنافقين.يبين الحالة النفسية للمتلقي من عدم المحبة للمتكلم بل واندساسهم في المسلمين لنقل الأخبار إلى أعداء الإسلام. والدلالة الاتفاقية بصيغة المبالغة دلالة على شدة حرصهم السماع.

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٣ ص٣٠٥.
٢) محاسن التأويل ج٤ ص١٣٩.
٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٥ ص٣٠٣.
٤) التحرير والتنوير ج١٠ ص٢١٨.

٣- قال تعالى: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ [الصافات:٨]

السمع في الآية تضمن دلالة الإصغاء، والإصغاء هو الميل جهة المتكلم عند السماع إليه والحرص على سماع كل ما يمكنهم سماعه كما هو معروف في اللغة فقال الآلوسي مبينا الجانب التداولي وهو الحوار الإشاري: "وتعدية الفعل على قراءة الجمهور بإلى لتضمينه معنى الإصغاء أي لا يسمعون مصغين إلى الملأ الأعلى، والمراد نفي سماعهم مع كونهم مصغين، وفيه دلالة على مانع عظيم ودهشة تذهلهم عن الإدراك، .... وقال ابن كمال: عدي الفعل في القراءتين بإلى لتضمنه معنى الانتهاء أي لا ينتهون بالسمع أو التسمع إلى الملأ (الأعلى) وليس بذاك كما لا يخفى على المتأمل الصادق"(١)

بين ابن عاشور المعنى المتضمن في يسَّمَّعُون فقال: "وَحَرْفُ إِلَى يُشِيرُ إِلَى تَضْمِينِ فِعْلِ يَسَّمَّعُونَ مَعْنَى يَنْتَهُونَ فَيَسْمَعُونَ.... وَسَمِعْتُ الْمَعْدَّى بِـ إِلَى يُفِيدُ الْإِصْغَاءَ مَعَ الْإِدْرَاكِ."(٢)

وقد نقل ابن سيده عن أَبي عُبَيْد: "صَغَوْت إِلَيْهِ أَصْغو صَغْواً وصُغُوّاً وصَغى مَقْصُور وأصغيت إِلَيْهِ برأسي: إِذا ملت إِلَيْهِ. الْكسَائي: صَغَوْت إِلَيْهِ وصغَيْت. أَبُو زيد: صغى إِلَيْهِ سَمْعِي يصغو صغىً قَالَ وأصغيت إِلَيْهِ سَمْعِي أملته وَمِنْه أصغيت الإِنَاء إِذا حرفته على جنبه ليجتمع مَا فِيهِ."(٣)

تضمن سمع معنى الإصغاء والإصغاء ميل من المستمع جهة مصدر الصوت ويعطي دلالة الحرص على السماع وطريقة من طرائق التواصل بين طرفي الخطاب ، والمعنى المستلزم في الملفوظ القرآني هو نفي التسمع والإصغاء عنهم إلى الملأ الأعلى.

٤- قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ [الإسراء:٤٧]

يظهر الآلوسي الحوار الإشاري في الآية بما تدل على المصاحبة للاستماع من مكر وخداع واستخفاف فقال: "نحن أعلم بما يستمعون به أي ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن. يروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم عن يمينه رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان منهم فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار، ويجوز أن تكون الباء للسببية أو بمعنى اللام أي نحن أعلم بما يستمعون بسببه أو لأجله من الهزء وهي متعلقة بيستمعون، وجعلها على ظاهرها على معنى أيستمعون

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج١٢ ص٦٨.
٢) التحرير والتنوير ج٢٣ ص٩٢.
٣) المخصص ج ٤ ص٩(باب الملاهي والغناء).

بقلوبهم أم بظاهر أسماعهم غير ظاهر، والباء الأولى متعلقة بأعلم، وأفعل التفضيل في العلم والجهل يتعدى بالباء وفي سوى ذلك يتعدى باللام فيقال هو أكسى للفقراء مثلا، والمراد من كونه تعالى أعلم بذلك الوعيد لهم.(١)

بين ابن عاشور تعدية العلم بالباء فقال: "وَالْبَاءُ فِي قَوْله: بما يَسْتَمِعُونَ لِتَعْدِيَةِ اسْمِ التَّفْضِيلِ إِلَى مُتَعَلِّقِه لِأَنَّهُ قَاصِرٌ عَنِ التَّعْدِيَةِ إِلَى الْمَفْعُولِ. وَاسْمُ التَّفْضِيلِ الْمُشْتَقُّ مِنَ الْعِلْمِ وَمِنَ الْجَهْلِ يُعَدَّى بِالْبَاءِ وَفِي سِوَى ذَيْنِكَ يُعَدَّى بِاللَّامِ. يُقَالُ: هُوَ أَعْطَى لِلدَّرَاهِمِ. وَالْبَاءُ فِي يَسْتَمِعُونَ بِهِ لِلْمُلَابَسَةِ. وَالضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ بِالْبَاءِ عَائِدٌ إِلَى (مَا) الْمَوْصُولَةِ، أَيْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُلَابِسُهُمْ حِينَ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ، وَهِيَ ظَرْفٌ مُسْتَقِر فِي مَوضِعِ الْحَال. وَالتَّقْدِير: متلبسين بِهِ."(٢)

قال ابن منظور: "السَّمْعُ: حِسُّ الأُذن. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧]؛ وَقَالَ ثَعْلَبٌ: مَعْنَاهُ خَلا لَهُ فَلَمْ يَشْتَغِلْ بِغَيْرِه؛ وَقَدْ سَمِعَه سَمْعاً وسِمْعاً وسَماعاً وسَماعةً وسَماعِيةً. قَالَ اللِّحْيَانِيُّ: وَقَالَ بَعْضُهُمْ السَّمْعُ الْمَصْدَرُ، والسِّمع: الاسْمُ. والسَّمْعُ أَيضاً: الأُذن، وَالْجَمْعُ أَسْماعٌ. ابْنُ السِّكِّيتِ: السَّمْعُ سَمْعُ الإِنسان وَغَيْرِه، يَكُونُ وَاحِدًا وَجَمْعًا؛ وأَما قَوْلُ الْهُذَلِيِّ:

فلمَّا رَدَّ سامِعَه إِليه، ... وجَلَّى عَنْ عَمايَتِه عَماهُ

فإِنه عَنَى بالسامِعِ الأُذن وَذَكَّرَ لِمَكَانِ العُضْوِ، وسَمَّعه الْخَبَرَ وأَسْمعه إِيّاه. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ [النساء:٤٦]؛ فَسَّرَهُ ثَعْلَبٌ فَقَالَ: اسْمَعْ لَا سَمِعْتَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ [النمل:٨١ – الروم:٥٣]؛ أَي مَا تُسمع إِلا مَنْ يُؤْمِنُ بِهَا، وأَراد بالإِسماعِ هَاهُنَا الْقَبُولَ وَالْعَمَلَ بِمَا يَسْمَعُ، لأَنه إِذا لَمْ يَقْبَلْ وَلَمْ يَعْمَلْ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ. وسَمَّعَه الصَّوْتَ وأَسمعه: اسْتَمَعَ لَهُ. وتسَمَّع إِليه: أَصْغى، فإِذا أَدْغَمْت قُلْتَ اسَّمَّعَ إِليه، وَقُرِئَ: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ [الصافات:٨] يُقَالُ تَسَمَّعت إِليه وسَمِعْتُ إِليه وسَمِعْتُ لَهُ، كُلُّهُ بِمَعْنًى لأَنه تَعَالَى قَالَ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾، وقرئ: ﴿لا يَسْمَعُون إِلى الملإِ الأَعلى﴾، مُخَفَّفًا.... وَقَدْ تأْتي سَمِعْتُ بِمَعْنَى أَجَبْتُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه أَي أَجاب حَمْدَه وَتَقَبَّلَهُ. يُقَالُ: اسْمَعْ دُعائي أَي أَجِبْ لأَن غَرَضَ السَّائِلِ الإِجابةُ والقَبُولُ؛ وَعَلَيْهِ مَا أَنشده أَبو زَيْدٍ:

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٨ ص٨٦.
٢) التحرير والتنوير ج١٥ ص١٢٠.

دَعَوْتُ اللهَ، حَتَّى خِفْتُ أَن لَا ... يكونَ اللهُ يَسْمَعُ مَا أَقولُ(١)

وَقَوْلُهُ: أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ أَي مَا أَبْصَرَه وَمَا أَسْمَعَه عَلَى التَّعَجُّب؛ وَمِنْهُ الْحَدِيث: (اللَّهُمَّ إِنِي أَعوذ بِكَ مِنْ دُعاء لَا يُسْمَعُ)(٢) أَي لَا يُستجاب وَلَا يُعْتَدُّ بِهِ فكأَنه غَيْرُ مَسْموع؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: (سَمِعَ سامِعٌ بحمد اللهِ وحُسْنِ بَلَائِه عَلَيْنَا)(٣) أَي لِيَسْمَعِ السامِعُ ولِيَشْهَدِ الشاهِدُ حَمْدَنا اللهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَحسَنَ إِلينا وأَوْلانا مِنْ نعَمِه، وحُسْنُ الْبَلَاءِ النِّعْمَةُ والاخْتِبارُ بِالْخَيْرِ لِيَتَبَيَّنَ الشُّكْرُ، وبِالشَّرِّ لِيَظْهَرَ الصَّبْرُ. وَفِي حَدِيث عَمْرِو بْنِ عَبْسة قَالَ لَهُ: (أَيُّ الساعاتِ أَسْمَعُ؟)(٤) قَالَ: جَوْفُ اللَيلِ الآخِرُ أَي أَوْفَقُ لِاسْتِمَاعِ الدُّعَاءِ فِيهِ وأَوْلَى بِالاسْتِجَابَةِ وَهُوَ مِنْ بَابِ نهارُه صَائِمٌ ولَيْلُهُ قَائِمٌ. وَمِنْهُ حَدِيثُ الضَّحَّاك: لَمَّا عُرِضَ عَلَيْهِ الإِسلام قَالَ: (فسمعتُ مِنْهُ كَلَامًا لَمْ أَسْمَعْ قَطُّ قَوْلًا أَسْمَعَ مِنْهُ)(٥)؛ يُرِيدُ أَبْلَغَ وأَنْجَعَ فِي الْقَلْبِ.... والسَّمْعُ: مَا وَقَرَ فِي الأُذن مِنْ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ. وَيُقَالُ: ساءَ سَمْعاً فأَساءَ إِجابةً أَي لَمْ يَسْمَعْ حسَناً. وَرَجُلٌ سَمّاعٌ إِذا كَانَ كَثِيرَ الِاسْتِمَاعِ لِمَا يُقال ويُنْطَقُ بِهِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾، فُسِّر قَوْلُهُ ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة:٤١] عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحدهما أَنهم يَسْمَعُونَ لِكَيْ يُكَذِّبُوا فِيمَا سَمِعُوا، وَيَجُوزُ أَن يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنهم يَسْمَعُونَ الْكَذِبَ لِيُشِيعُوهُ فِي النَّاسِ، وَاللَّهُ أَعلم بِمَا أَراد."(٦)

السمع عندما يتعدى بالباء يدل المصاحب للاستماع من مكر واستخفاف، وعندما يتعدى بإلى يدل على الإصغاء مع الإدراك. وهذا ابن القيم يسوق لفعل السمع أربعة معانٍ: "أحدها: سمع إدراك ومتعلقه الأصوات، الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني، الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل، الرابع: سمع قبول وانقياد، فمن الأول: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١] و ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ [آل عمران:١٨١] ومن الثاني قوله: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة:١٠٤] ليس المراد سمع مجرد الكلام بل سمع الفهم والعقل ومنه سمعنا وأطعنا، ومن الثالث سمع الله لمن حمده وفي الدعاء المأثور اللهم اسمع أي أجب وأعط ما سألتك، ومن الرابع قوله

---

١) المعجم المفصل في شواهد العربية ج٦ ص٣١٢،المؤلف: د. إميل بديع يعقوب الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م (البيت من الوافر، وهو لسمير بن الحارث الضبي في تاج العروس ٢١/ ٢٣٥ (سمع)؛ ولشمير بن الحارث في نوادر أبي زيد ص ١٢٤ (١)؛ وبلا نسبة في لسان العرب ٨/ ١٦٣ (سمع).

٢) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ج٣ ص٦١٧، ت: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

٣) المسند الجامع ج١٧ ص٧١١.

٤) الطبقات الكبرى ج٤ ص١٦٥، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ج٢ ص٤٠١، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

٦) لسان العرب ج٨ ص ١٦٢–١٦٤ (س.م.ع).

تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة:٤١] أي قابلون له ومنقادون غير منكرين له ومنه على أصح القولين: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧] أي قابلون ومنقادون"(١)

وإشارة الاستماع والتسمع تشتمل على معان ضمنية فتدل على الانتباه، وشدة الحرص، وعلى الوعي والفهم لما يسمع، والمبالغة في الاستماع والإنصات المأمور بهما هما المؤديان بالسامع إلى النظر والاستدلال، والاهتداء بما يشتمل عليه القرآن من الدلالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم المفضي إلى الإيمان به، ويجوز أن يكون الاستماع مستعملا في معناه المجازي وهو مجاز لغوي والمراد الامتثال للعمل بما فيه، وهذه الدلالة طبيعية، لأن العلاقة بين الدال والمدلول هي الفطرة. والإصغاء يشير إلى شدة الانتباه في الاستماع مع الميل الحسي، وهي دلالة طبيعية قد فهمت من حركة الميل، وهذا أمر فطري، فكانت دلالة هذه الإشارة فطرية، وهو مرحلة تفوق الاستماع، يفهم منه الحرص على تتبع ما يقال بدقة بالغة، وهو مجاز في الاتباع وقبول القول وهذا يبين الاستلزام الحواري من المعنى الضمني للسماع.

٥- قال تعالى: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة:٣٨]

بين الآلوسي دلالة الميل المتضمنة في (اثاقلتم) فلذلك تعدى بـ إلى؛ مما يعطي رد الفعل منهم ويبين مدى قيمة التفاعل والتحاور غير اللفظي منهم، مما يعطي الاستلزام الحواري من البطء والميل إلى الأرض فقال: "إلى الأرض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والإخلاد ولولاه لم يعد بإلى، أي اثاقلتم مائلين إلى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل، وكرهتم مشاق الجهاد ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة والحياة الباقية أو إلى الإقامة بأرضكم وديياركم"(٢)

وافق القاسمي الآلوسي في التضمين لمعنى الميل والإخلاد في (اثاقلتم) فقال: "وقوله إِلَى الْأَرْضِ متعلق بـ اثَّاقَلْتُمْ على تضمينه معنى الميل والإخلاد، أي اثاقلتم مائلين إلى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل"(٣)

قال ابن منظور: "وتَثَاقَلَ عَنْهُ: ثَقُل. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾؛ وعَدَّاه بإِلى لأَن فِيهِ مَعْنَى مِلْتُم"(٤)

التثاقل هو الميل إلى الأرض وعبر الله سبحانه وتعالى إشارة غير لفظية تدل على امتناعهم عن الجهاد في سبيل الله ، والمعنى الضمني للتثاقل هو: التباطؤ وهو تصوير

١) بدائع الفوائد ج٢ ص٧٥، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٥ ص٢٨٦.

٣) محاسن التأويل ج٥ ص٤١٧.

٤) لسان العرب ج١١ ص٨٧ (ث.ق.ل).

لطريقة امتناعهم عن الجهاد، وذلك بالميل والإخلاد إلى الدنيا بمتعها ولذاتها المنتهية والفانية، والبعد والانصراف عن الآخرة والحياة الباقية الدائمة والخالدة، فليس المراد بـ (اثاقلتم) في الآية أنهم قد التصقوا بالأرض، وإنما عبر بـ (اثاقلتم) للدلالة عن امتناعهم عن المشاركة في الجهاد خلودا إلى متع الحياة الدنيا وزينتها، وهذا من بديع التصوير القرآني. حيث وضح الحالة النفسية المخاطبين بركونهم إلى الدنيا وتفضيلها على الآخرة.

٦- قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:٢٨]

عرف الرازي التَّعَدي فقال: "هو مُجَاوَزَةُ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ يُقَالُ: عَدَّاهُ تَعْدِيَةً فَتَعَدَّى أَيْ تَجَاوَزَ. وَ عَدِّ عَمَّا تَرَى أَيِ اصْرِفْ بَصَرَكَ عَنْهُ."(١)

أشار الآلوسي إلى الحالة النفسية ووجود السلطة التفاعلية وتشغيل الصيغة الانفعالية لتعزيز العلاقات وتوطيدها بين المتحاورين مع بيان التضمين في كلمة تعد فقال: "إن عدا حقيقة معناه تجاوز كما صرح به الراغب والتجاوز لا يتعدى بعن إلا إذا كان بمعنى العفو كما صرحوا به أيضا وهو هنا غير مراد فلا بد من تضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك: نبت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به، وهو الذي ذهب إليه الزمخشري ثم قال: لم يقل ولا تعدهم عيناك أو ولا تعل عيناك عنهم وارتكب التضمين ليعطي الكلام مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ"(٢)

بين ابن عاشور الْمَقْصُود بـ (تعدو) فقال: "الْإِعْرَاضُ، وَلِذَلِكَ ضُمِّنَ فِعْلُ الْعَدْوِ مَعْنَى الْإِعْرَاضِ، فَعُدِّيَ إِلَى الْمَفْعُولِ بِـ (عَنْ) وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَتَعَدَّى إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ يُقَالُ: عَدَاهُ، إِذَا جَاوَزَهُ. وَمَعْنَى نَهْيِ الْعَيْنَيْنِ نهي صَاحبهمَا، فيؤول إِلَى مَعْنَى: وَلَا تَعْدِي عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ."(٣)

التعبير غير اللفظي والمعنى الضمني في الآية الكريمة يظهر في التعبير بلفظ (تعدو) لما فيه معنى حركي من الانصراف والمجاوزة عن الذين يدعون الله عز وجل بالغداة والعشي لا يريدون ولا يبتغون إلا رضا الله سبحانه وتعالى، مع وجود التضمين حيث تتضمن كلمة (تعدو) معنى الإعراض، أو تنبو، أو تسهو، أو تغفل عنهم، ليدل على أن المعنيين مرادان في كلمة واحدة بدلا من كلمتين.

---

١) مختار الصحاح ص٢٠٣ المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٨ ص٢٥٠-٢٥١.

٣) التحرير والتنوير ج١٥ ص٣٠٥.

٧-قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور:٦٣]

نقل الآلوسي عن الراغب تعريف المخالفة وبيان التضمين فيها لمعنى يحيدون ويعرضون ويخرجون عن أمر الله أو معنى الصد، والحوار بين الطرفين - المتكلم والمتلقي- فقال: "أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو فعله والأكثر استعمالها بدون عن فيقال خالف زيد عمرا وإذا استعملت بعن فذاك على تضمين معنى الإعراض. وقيل الخروج أي يخالفون معرضين أو خارجين عن أمره. وقال ابن الحاجب: عدي يخالفون بعن لما في المخالفة من معنى التباعد والحيد كأنه قيل الذين يحيدون عن أمره بالمخالفة وهو أبلغ من أن يقال: يخالفون أمره. وقيل على تضمين معنى الصد"(١)

أشار ابن عاشور إلى المعنى المتضمن في المخالفة فقال: "وتعدية فعل الْمُخَالَفَة بحَرْف (عَنْ) لأَنَّهُ ضُمِّنَ مَعْنَى الصُّدُود كَمَا عُدِّيَ بِـ (إِلَى) فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ لَمَّا ضُمِّنَ مَعْنَى الذَّهَاب. يُقَالُ خَالَفَهُ إِلَى الْمَاء، إِذَا ذَهَبَ إِلَيْه دُونَهُ، وَلَوْ تُرِكَتْ تَعْدِيَتُهُ بِحرف جر لأفاد أَصْل الْمُخَالَفَة فِي الْغَرَض الْمَسُوق لَهُ الْكَلَامُ. وَضَمِيرُ (عَنْ أَمْرِه) عَائِدٌ إِلَى اللَّه تَعَالَى. وَالْأَمْرُ هُوَ مَا تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ: لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُول بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضكُمْ بَعْضاً فَإِنَّ النَّهْيَ عَنِ الشَّيْءِ يَسْتَلْزِمُ الْأَمْرَ بِضِدِّهِ فَكَأَنَّهُ قَالَ: اجْعَلُوا لِدُعَاءِ الرَّسُولِ الِامْتِثَالَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ."(٢)

بين ابن منظور تعدية كلمة يخالفون بعن في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور:٦٣] فقال: "فَعَدَّى الْفِعْلَ بِعَنْ حَمْلًا عَلَى مَعْنَى يَخْرُجون عَنْ أَمره، لأَن الْمُخَالَفَةَ خُرُوجٌ عَنِ الطَّاعَةِ"(٣)

الفعل المضارع المقترن باللام يدل على الأمر بالحذر، والأمر له قيمة تداولية وهي العلاقة بين المتكلم الآمر والمخاطب وهو المأمور. فالأمر من الأعلى للأدنى يستلزم الوجوب. و كلمة يخالفون مضارع دلالته الزمانية استمرارية والتجدد في المخالفة وهو بمعنى الصد، والمعنى المستلزم الانصياع والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (يتسللون) يصور لنا انصرافهم في خفية، وحركة الإعراض وهم يتسللون يصور جبنهم وخوفهم، وهذا تعبير وحوار غير لفظي، وهو معنى ضمني فهم من السياق، مما يعطي دلالة التحاور بين الطرفين، والتفاعل يشير إلى الحالة النفسية للمتلقين، وهذا يدل على التأثر مما يعزز العلاقة بين الطرفين المتحاورين.

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٩ ص٤١٥.
٢) التحرير والتنوير ج١٨ ص٣١١.
٣) لسان العرب (م.ن.ن) ج١٣ ص٤٢٢.

٨- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ [البقرة:١٤]

أشار الآلوسي إلى المعاني الضمنية العرفية الممكنة لكلمة (خلوا) من سخرية أو فراغ المكان والزمان فقال: "واحتمال أن يكون من خلوت به أي سخرت منه، فمعنى الآية إذا أنهوا السخرية معهم وحدثوهم كما يقال أحمد إليك فلانا وأذمه إليك مما لا ينبغي أن يخرَّجَ عليه كلام رب العزة وإن ذكره الزمخشري والبيضاوي وغيرهما إذ لم يقع صريحا- خلا- بمعنى سخر في كلام من يوثق به، وقولهم: خلا فلان بعرض فلان يعبث به ليس بالصريح إذ يجوز أن يكون خلا على حقيقته أو بمعنى تمكن منه على ما قيل، والدال على السخرية يعبث به، وزعم النضر بن شُمَيْل أن إلى هنا بمعنى مع ولا دليل عليه كالقول بأنها بمعنى الباء على أن سيبويه والخليل لا يقولان بنيابة الحرف عن الحرف، نعم إن الخلوة كما في التاج تستعمل ب «إلى، والباء، ومع» بمعنى واحد ويفهم من كلام الراغب أن أصل معنى الخلو فراغ المكان والحيز عن شاغل وكذا الزمان وليس بمعنى المضي، وإذا أريد به ذلك كان مجازا وظاهر كلام غيره أنه حقيقة. وضعيفان يغلبان قويا".(١)

بين ابن عجيبة المعنى المتضمن في خلوا فقال: " والخلو بالشيء أو معه: الانفراد به، ضمنه هنا معنى رجع، ولذلك تعدَّى بإلى"(٢)

خلوة المنافقين كانت في خلوصهم إلى شياطينهم عند إيابهم ومرجعهم إليهم، على حين لقاءاتهم بالمؤمنين لمحات عابرة وسريعة. نفهم هذا من سياق الآية (وَإِذَا لَقُوا) لقاءٌ عابر وسريع وأسلوب المنافقين دائما أن يستتروا عن الأعين فهم بحاجة إلى خلوة، وجاء اللقاء بالمؤمنين في جملة فِعْلِيَّة ليفيد الحدوث الخاطف، دخول إلى أوضح خسة المنافقين ونفوسهم الدنية، بلقائهم العابر والخاطف بالمؤمنين واستكانتهم وراحتهم وخلوصهم إلى شياطين الإنس من الكافرين.

ويبقى التضمين صاحب فضل بتأليق المعنى في صورة تستهوي القارئ الفطِن، وتستولي على النفس الزكية في توجيه المعنى للحرف الذي لا يتعدى به فعله، فيتصرف في تضمينه وتوجيهه في مسارح النظر حَسْب ما يرشد إليه الدليلُ ويشهدُ على صحّته القياسُ والنظر.

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج١ ص١٥٩

٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج١ ص٨١.

٩- قال تعالى:﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣]

بين الآلوسي المعنى الضمني العرفي لكلمة (أصب) وتضمنها لمعنى الميل وهي إشارة لغوية غير ملفوظة وتعبر عن المشاعر والوجدان والأحاسيس فقال: "وأصب من صبا يصبو صبوا وصبوة إذا مال إلى الهوى، ومنه الصِّبا للريح المخصوصة لأن النفوس تميل إليها لطيب نسيمها وروحها مضارع مجزوم على أنه جواب الشرط، والجملة الشرطية عطف على قوله: (السجن أحب)، وجيء بالأولى اسمية دون الثانية لأن أحبيته السجن مما يدعونه إليه كانت ثابتة مستمرة ولا كذلك الصرف المطلوب، وقرىء «أصبِ» من صببيت صبابة إذا عشقت، وفي البحر الصبابة إفراط الشوق كأن صاحبها ينصب فيما يهوى، والفعل مضمن معنى الميل أيضا ولذا عدي بإلى أي أصب مائلا إليهن"(١)

خالف ابن عاشور الآلوسي في وجود تضمين في أصب فقال: "وَمَعْنَى أَصْبُ أَمِلْ. وَالصَّبْوُ: الْمَيْلُ إِلَى الْمَحْبُوبِ."(٢)

المعنى المستلزم دعاء وتمني ورجاء سيدنا يوسف عليه السلام من الله عز وجل أن يصرف كيد النساء عنه.

دلالة بنية أصب من الصبابة وهي شدة الحب واختيار الصبابة لأن السياق النصي يتحدث عن النساء اللاتي جمعتهن امرأة العزيز فيتناسب مع العاطفة، والاستلزام الحواري وسيلة للفهم والتواصل اللغوي بين الطرفين المتكلم والمتلقي، كما أن النص الذي لم يستدعي الاستلزام الحواري يكون ضعيفا وغير ثري؛ لأنه مباشر وواضح، والاستلزام الحواري يدفع لإثارة الذهن عند المتلقي للوصول للمعنى الضمني وتحفيز الذهن للبحث عن المقصود.

١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٦ ص٤٢٦.
٢) التحرير والتنوير ج١٢ ص٢٦٦.

الخاتمة:

يعد الاستلزام الحواري من أهم نظريات التداولية في التي ظهرت في الدرس الحديث، وبالرغم من الانتقادات التي وجهت له، إلا أن الفضل الكبير في تحديد المقاصد غير المباشرة، وقد ظهرت ملامح منه في الدرس العربي القديم خصوصا في دراسات السكاكي، ثم ظهر بشكل واضح وجلي في العصر الحدىث، وسوف يتناول هذا البحث ظاهرة الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني من خلال دراسة وتحليل المعاني المستلزمة التي خرجت إليها بعض الأساليب الخبرية، والأساليب الإنشائية (الطلبية) في التضمين في القرآن الكريم في تفسير الآلوسي، والأغراض التداولية التي تؤديها، مع الأخذ بعين الاعتبار المقامات التخاطبية والسياقات التي وردت فيها، بالاعتماد على آراء بعض العلماء والمفسرين.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

١. إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

٢. إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ.

٣. بدائع الفوائد ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٤. البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

٥. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة: ١٩٨٤ هـ

٦. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آلان روبول، جاك موشلار. تر: سيف الدين، دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٣م.

٧. التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

٨. الجدول في إعراب القرآن الكريم المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.

٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

١٠. الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

١١. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ
١٢. محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
١٣. مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
١٤. المخصص أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المحقق: خليل إبراهم جفال الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
١٥. المسند الجامع حققه ورتبه وضبط نصه: محمود محمد خليل الناشر: دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.
١٦. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٧. معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٨. المعجم المفصل في شواهد العربية، المؤلف: د. إميل بديع يعقوب الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
١٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي
٢٠. (francois Recanati les enonces reformatifs les editions de minuit ١٩٧٩ p١٤١-١٤٢-١٤٣